أحمد بابا التمبكتي السوداني
في ضوء بعض مخطوطاته بدار الوثائق بالرباط

د. شوقي عطا الله الجمل

التعريـــف بـــه :

هو أبو العباس احمد بابا بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد اقيـــت التكروري التنبكتي السوداني ، من اهـــل تمبكتـــو (Tombouctou) فى افريقية الغربية (1) واصله من كدالة الصنهاجية من قبيلة يقال لهـــا مسوفه ، ولذا اشتهر بلقب المسوفي الماسي (2) .

---

(1) انظر ـ سركيس ، يوسف اليان : معجم المطبوعات العربيـــة والمعربـــة (1928) جـ 1 ص 379 ، 380

— المحبى ، ابو عبد الله محمد : خلاصة الأثـــر فى أعيـــان القرن الحـــادي عشـــر (1284 هـ) (دار الصياد ـ بيروت) جـ 1 ص 170 .

— الكتاني ، عبد الحي : فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخـــات والمسلســـلات (1346 هـ) جـ 1 ص 76 .

Brocklemann, Carl : Geschichte Der Arabischen Literatur (Leiden 1938) vol. II ; P. 715.

(2) المراكشي ، عباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام (1936 م)

— ملاحظـــة : لم اجد تفسيـــرا مقنعـــا لتلقيبـــه (بالماســـي) .

ويتعجب صاحب كتاب (الاعلام) من تلقيبه بالسوداني ، رغم انـــه ـ كما يقول ـ ليس من السودان ، فأصله الصنهاجي لا شك فيــه (3) . وبالطبع لفظ (السودان) ـ وهو غير سودان وادي النيل ـ أطلق لفتــرة طويلة على منطقة شاسعة فى غرب أفريقيا يخترقها نهر النيجر ، وحيــن مد الفرنسيون نفوذهم مؤخرا فى القرن التاسع عشر الى هذه الجهــات أطلقوا عليها اسم (السودان الفرنسي) فكان وحدة اقليمية داخلة فى نطاق أفريقيا الغربية الفرنسية (Afrique Occidental Française — A.O.F.) فالاشارة هنا الى البلاد التي استقرت فيها أسرته كما سنوضح بعد .

هذا على ان أحمد بابا ـ يعرف بنفسه فى كتابه (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) فيقول : « يقول العبد الفقير لرحمة ربه القدير ـ احمد بن احمد ابن احمد بن عمر بن أقيت ـ عرف بابا ـ التكروري ، ثم التنبكتي المالكي ـ وفقه الله لرضــاه ... » (4) .

واشتهر بالمالكي لأن هذا كان مذهبه الذي أخلص له كل الاخلاص ـ كما يقول هو فى الكتاب السالف الذكر ـ (5) بل ان الكتاب كما سنوضح قصد به أن يترجم لبعض أعيان المالكية .

---

(3) نلاحظ أن المؤرخ ـ ابو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر ، السعــدي صاحب كتاب (تاريخ السودان) ، هو أيضا من أسرة عربية استقرت فى هذه البلاد ، وولد السعدي فى مدينة تمبكتو (1596 ـ 1655) ، وعمل (كاتب عدل) فى مدينـة جنـــي (Jenne) وكانت من مراكز العلم والحضارة الاسلامية فى هذه البلاد ، وأصبح بعد ذلك اماما فى تمبكتو ، وشارك فى الاحداث السياسية فيها ـ وكان متحيزا لتمبكتو ـ كما يظهر فى كتابه ـ ويعتبرها من عواصم الاسلام الكبرى ـ وقد اشتهر هو الآخر بلقب (المــؤرخ السودانــي) .
وسنشير مرارا لكتابه ، الذي ارخ فيه لتاريخ السودان الغربي ، وعلمائه حتى سنـة (1665) أي قبيل وفاته مباشرة لانه كان معاصرا لاحمد بابا ، وخصص للحديث عن أسرته بابا كاملا من كتابه (الباب العاشر) نقلا عن كتاب (الابتهاج بالذيل على الديباج). وقد عثر على ثلاث نسخ خطية لهذا الكتاب منها اثنــان فى المكتبة الاهليـة بباريس ـ وقام هوداس بطبعه (بمطبعة بردين بمدينة ايجى عام 1898)
ـ للتعريف بالسعــدي السودانـي ، صاحـب تاريـخ الســودان ـ انظــر : Bovill, E.W. : Caravans of the old sahara (London 1933) P. 192

(4) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (المطبعة الجديدة بفاس 1317 هـ ـ 1899 م) ص 2 .

(5) الكتــاب السالــف الذكــر ونفس الصفحــة .

أما لفظ التكروري فهو نسبة الى بلاد (التكرور) والحقيقة اننا لا نستطيع أن نعطي تحديدا دقيقا لهذه البلاد زمن أحمد بابا ، فرغم أن لفظ (تكروري والجمع تكارير) ورد فى اكثر من مرجع لكن لم يستطع أي منها ان يعطينا تحديدا دقيقا لبلاد التكرور ، ومدلول اللفظ (6) .

والمؤرخون العرب من أمثال ابن خلدون ، والعمري ، والقلقشندي والمقريزي ـ وكذلك الاجانب استخدموا لفظ (تكرور)

---

(6) ـ يؤكد الفيروزبادي ـ فى القاموس « أن التكرور بلد فى المغرب » .

— اما ابن خلدون فقد ذكر أن التكرور ضمن شعوب السودان ، وفى تحديده لبلادهم ذكر « ان حدود هذه البلاد من جهة الشرق (دارفور ، ووادای ، وباجرمي) ومن جهة الشمال قفار ورمال ـ ومن جهة الجنوب بلاد كثيرة يسكنها أحلاف السودان ولم ينتشر فيها الاسلام كثيرا » .

— وأشار ياقوت ـ الى ان تكرور اسم مدينة ، ويطلق على القبائل فى السودان فى اقصى الجنوب من المغرب .
ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله الحموي : معجم البلدان جـ 2 (1906) ص 399

— ويرجع ابن ابى زرع ـ الفضل في انتشار الاسلام بين التكرور الى جهود المرابطين.
ابن ابى زرع ابو العباس أحمد : الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (1843) ص 76 ، 84 .

— اما البكري فيشير الى اشتراك ملوك التكرور المسلمين مع المرابطين فى حروبهم فى الأندلس ، ولعل الاشارة هنا الى واقعة الزلاقة فى 15 رجب 479 هـ (اكتوبر 1086) التي انتصر فيها يوسف بن تاشفين على جيش الفونس السادس.
البكري ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب (نشر البارون دى سلان) ص 172 ـ 174 .

— ويذكر (ترمنجهام) أن لفظ تكرور أصبح مرادفا للسودان الغربي الاسلامي
Trimingham, J. Spencer : History of Islam in West Africa (1962) P.P. 41-42.

— واعطى الرحالة السويسري (جون لويس بوركهارت) أكثر من تعليل لهذ الاسم فقد ذكر ـ لعله مشتق من الكلمة العربية (تكرار) وانه التصق بسكان غرب أفريقيا حيث اشتهروا بصبرهم واجتهادهم لتكرار الزيارة والحج .
أو لعله مرتبط بالكلمة العربية (تكرير) أي تطهير وتنقية لحرص هؤلاء القوم على تزكية وتنقية ايمانهم بالحج ـ على ان هذا كما نرى مجرد اجتهاد .
Burckhardt, J.L. : Travels in Nubia (London 1819) P. 404

— ويذكر الكعت التنبكتي ـ انه حين ذاعت شهرة مملكة صنغاي ، ولما قام اسكيا محمد الكبير فى عام 1496 برحلة الحج عينه الخليفة العباسي خليفة لبلاد التكرور ـ لكنه لم يحدد لنا موقع هذه البلاد .
محمود كعت التنبكتي : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (ترجمة هوداس ، ودى فوس) ، (باريس 1913) ص 11 .

للدلالة على معنى عام ، فلم يحاول احد منهم تحديد موقع معين لمدينة تكرور او للبلاد التي يطلق عليها (بلاد التكرور) (7) .

هذا وينتمي احمد بابا الى الى بيت علم وصلاح ، توارث العلم فيه نحو خمسمائة سنة ، وقد ذكر فى (نيل الابتهاج بالذيل على الديباج) — جماعة من اقاربه الذين تقدموا فى العلم وعرفوا به ، وتولوا خطة القضاء فى بلدهم ، وهم يتعدون مجال الحصر ، وكما اشرت سابقا نقل عنه صاحب تاريخ السودان هذه النبذة عن هذه الاسرة وخصص لها بابا منفصلا وذلك تقديرا لمكانة هذا البيت العلمية ، ولنزاهتهم فقد كانوا كما ذكر — لا يخافون فى الحق لومة لائم يهابهم الخلق كلهم — السلطان فما دونه (8) .

ويحدثنا احمد بابا عن والده — فيذكر انه كان صلبا فى الحق ، يغلظ للملوك فما دونهم وكانوا ينقادون له أعظم الانقياد ، ويزورونه فى داره، ولما مرض فى (كاغ) فى بعض أسفاره كان السلطان الاعظم اسكيا داود يأتي اليه بالليل ليسهر ويسمر عنده — تعظيما لقدره ، فقد كان مشهور القدر وافر الجاه بحيث لا يعارض ، محبا لاهل الخير متواضعا لهم ، لا ينطوي على حقد لأحد ، منصفا للناس ، جماعا للكتب ، وافر الخزانة ، خزانته محتوية على كل علق نفيس ، سموحا باعارتها . . . رحل للشرق سنة ست وخمسين وتسعمائة ، فحج وزار . . . وتوفي ليلة الاثنين سابع عشر شعبان عام احدى وتسعين وتسعمائة ، ثقل عليه لسانه وهو يقرا صحيح مسلم فى الجامع (9) .

فى هذا الجو العلمي ، وفى بيت العلم — الذي كما يقول صاحب الاعلام — جمع فيه الأجداد للاحفاد ، والادباء للابناء — ولد احمد بابا وترعرع وشرب من لبان العلم ونهل من مناهل المعرفة الصافية (10) .

---

(7) انظر ما كتب عن لفظ (تكرور) فى :
Cambridge, History of Islam (1970) vol. II PP. 347-360

(8) السعدي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران : تاريخ السودان (نشر هوداس 1898 ص. 37 — 48 .

(9) نفس المرجع السابق ص 42 (نقلا عن نيل الابتهاج بالذيل على الديباج)

(10) المراكشي : الاعلام — مرجع سابق ص 100 .

وكانت ولادته فى قرية (أروان) (11) فى ليلة الاحد 21 ذي الحجة عام 963 هـ (26 اكتوبر 1556) .

وقد أشار الى تاريخ ولادته هذا كل من اليفراني ، (12) والمحبي (13). لكن القادري يذكر ان ولادته كانت سابقة لهذا التاريخ فى عام ستين وتسعمائة (14) . وفى مجال ترجيح أحد التاريخين تشير دائرة المعارف الاسلامية الى انه يلاحظ ان 21 ذي الحجة عام 963 هـ يوافق يوم الاثنين، بينما يوافق هذا اليوم من عام 960 يوم ثلاثاء (15) .

ولعله هو يحسم هذا الموضوع فقد ذكر فى آخر (كفاية المحتاج) «مولدي كما وجدته بخط والدي ليلة الاحد الحادي والعشرين من ذي الحجة عام ثلاث وستين وتسعمائة هـ » .

هذا واذا حاولنا ان نتتبع أحمد بابا فى شبابه فلعل ما ذكره فى الكفاية يعطي صورة عن نشأته ، وعمن اخذ عنهم من الاساتذة والفقهاء وعما قرأه واستوعبه من أمهات الكتب ، فهو يقول : « نشأت فى طلب العلم ، فحفظت بعض الامهات ، وقرات النحو على عمي ابى بكر الشيخ الصالح ، والتفسير

---

(11) انظر موقعها على الخريطة المرفقة .

(12) اليفرني ، محمد الصغير المراكشي : نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي (المطبعة الحجرية بفاس) ص 81 ، 82 .

— ونفس المؤلف : صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ـ نسخة خطية بوثائق الرباط رقم 54 / د ص 65 .

(13) المحبي ـ مرجع سابق ج 1 ص 170 .

(14) القادري ، محمد بن الطيب : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني (فاس 1310 هـ) ج 1 ص 151 .

— ونلاحظ أن القادري كثيرا ما أخذ عن مؤلفات احمد بابا (نيل الابتهاج بالذات) ويشير الى ذلك .

(15) دائرة المعارف الاسلامية ـ العدد الاول ص 457 .

والحديث والفقه والاصول والعربية والبيان والتصوف وغيرهـــا ـ على شيخنا العلامة (بغيع) ولازمته اكثر من عشر سنين ، فقرات عليه بلفظـي (مختصر خليل) ، وابن الحاجب ـ قراءة بحث وتحقيق وتحرير وختمتهما عليه ، اما خليل فمرارا عديدة ـ نحو عشر مرات او ثمان بقراءتي وقراءة غيري ، وحضرت عليه التوضيح كذلك ، ولم يفتني منـــه الا يسير مـــن الوديعة الى الاقضية ، وختمت عليه الموطأ قراءة تفهم ، وحضرته كثيرا فى المنتفى والمرونة بشرح المجلى ثلاث مرات ، والفية العراقـــي فى علـــم الحديث مع شرحها ... وختمت عليه تلخيص المفتاح مرتين ، ومختصر السعد ، وصغرى السنوسي ... وقرات عليه حكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه .. والهاشمية فى التنجيم مع شرحها ، ومقدمة التاجـوري ، ورجز المغيلي فى المنطق ، والخزرجية فى العروض ، وكثيرا من تحفـــه الحكام لابن عاصم فى الاحكام مع شرح ولده عليها ، وسمعت بقراءته هـــو كثيرا من البخاري ... ومدخل ابن الحاج ، ودروسا من الرسالة ، والالفية وباحثته كثيرا فى المشكلات ، وراجعته طويلا فى المهمـــات ـ فهـــو شيخي واستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه رحمه الله ، وأجازنـــي فى جميع ما يجوز له وعنه ، وكتب لي بخطه فى ذلك . وأوقفته على بعض تآليفي وتقاييدي فكتب لي بخطه الثناء والموافقة ... وسمعته ينقـــل فى دروسه بعضها ، لانصافه وتواضعه وقوله الحق ... واخذت عن والـــدي الحديث سماعا ، والمنطق ، وقرات الرسالة ، ومقامات الحريري تفقها على غيرهم ، واشتهرت بين الطلبة بالمهارة على كلال ومهل فى الطلب ـ وألفت عدة كتب تزيد على اربعين تاليفا ... » (16)

---

(16) كفاية المحتاج بما ليس فى الديباج ، نسخة خطية (غالبا بخـط المؤلف) تحـت رقـــم ـ ك 390 وثائـــق الربـــاط .
ـــ السعـــدي ، مرجـــع سابـــق ص. ص 45 ، 46 .
ـــ المراكشـــي : الاعـــلام ، ص. ص 100 ، 101 .

ويعطينا احمد بابا فى هذا الحديث صورة عن مدى ما وصل اليه من علم وثقافة والمام بأمهات الكتب والاصول ، ولا شك فى أن اشارته الى ما اشتهر به بين الطلبة من المهارة ، ومن الصبر والجلد والتمهل فى طلب العلم والمعرفة ـ هو اقل ما يمكن أن يوصف به فقد وصل الى ما وصل اليه من منزلة علمية رفيعة عرف بها على مر السنين فذاع صيته وأصبح علما فى العالم الاسلامي وخارجه ـ عن جهد وبذل وتفان فى سبيل العلم وداب على ان ينهل من ينابيع المعرفة المعروفة فى وقته مع ذكاء خارق اشار اليه كل من عرفه او كتب عنه .

والحقيقة اننا نعلق اهمية كبيرة على اشارته الى أساتذته الذين أخذ منهم ، والكتب التي كانوا يتناولونها مع طلبتهم بالشرح والدرس ، والطريقة التي كانوا يعالجون بها ذلك ويناقشون القضايا الهامة ، والتي كانوا يجيزون بها طلبتهم ، واشارته الى شيخه الذي لازمه واخذ عنه ، وكيف ان هذا الشيخ قرأ له بعض ما الف وكتب واستحسنه واقره عليه وكان الشيخ يشير فى مجالسه العلمية الى ما كتبه وألفه تلميذه .

فهو من هذه الايضاحات يعطينا صورة لمجالس العلم والطريقة التي كانت تنتشر بها الثقافة الاسلامية على وجه الخصوص فى عصره فى هذا المجتمع الاسلامي ـ وهذه الصورة تؤكد ما سبق أن أشرنا اليه من ان (جنى) ، و (تمبكتو) كانتا فى ذلك الوقت من مراكز العلم والحضارة الاسلامية رغم انالاضواء لم تركز عليهما كغيرهما منمراكز الحضارة الاسلامية فى العصور المختلفة ، ولعل دراسة ما بقي لنا من مؤلفات علماء غرب افريقيا فى المستقبل تضيف أضواء اكثر على الدور الثقافي والحضاري الذي قامت به هذه البلاد فى عصور مجدها ورفعتها ـ فلا شك فى أن معلوماتنا عن الاوضاع فى المناطق الداخلية بغرب افريقيا التي قامت فيها امبراطوريات

اسلامية قوية لها حضارتها وتاريخها لا زالت غير كاملة وغير دقيقة رغم ما كتبه عنها بعض الرحالة العرب على وجه الخصوص (17) .

ولعله مما يدعو للتعجب حقا انه رغم قيام ممالك وسلطنات قوية وغنية وعلى قدر كبير من الحضارة فى هذه المناطق بشمال غرب افريقيا ، ورغم

---

(17) كان لعرب المغرب والاندلس دور كبير فى نشر الاسلام والحضارة الاسلامية فى اقاليم السودان الغربي ، وساهم ذلك فى ظهور الدول الاسلامية العظيمة التي تقع عواصمها على طول خط الالتقاء بين الصحراء وبلاد السودان - انظر :
— صفى الدين ، محمد : افريقيا بين الدول الاوربية (القاهرة 1951) ص 51 .
ونشير فى هذا المجال الى ان طرق القوافل عبر الصحراء فى افريقيا الغربية كانت مطروقة ومعروفة ، وقد قام عدد كبير من الرحالة العرب المغاربة والاندلسيين بالذات برحلات كشفت لنا عن كثير من معالم وحضارة هذه المنطقة من غرب افريقيا - واذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ممن نشرت رحلاتهم عن هذه الجهات :
— البكري (ابو عبيد الله) (1028 - 1094 م) . المسالك والممالك وقد خصص جزء للسودان الغربي باسم (تذكرة النسيان فى اخبار ملوك السودان) .
— الادريسي (محمد بن عبد الله بن ادريس) ولد بسبتة 1100 م) : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس - ليدن 1896) .
— ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن بطوطة) (1304 - 1377) . وقد زار السودان الغربي ووصل الى سجلماسة ، تمبكتو ، تاكدا - وابحر فى النيجر .
— حسن بن الوزان (ليون الافريقي) (ولد فى غرناطة 1498) ، وقد ارسل من شريف (فاس) الى دولة صنغاي ، وقام برحلة زار فيها سجلماسة ، وتمبكتو ، ومملكة مالي ، وبلاد الهوسا ، وبورنو وكتب لنا فى كتابه (تاريخ ووصف افريقيا) معلومات قيمة عن هذه البلاد .
(ارجع ما كتبه صاحب هذا المقال عن الحسن بن محمد الوزان - فى العدد الثاني من مجلة المناهل ص. ص 236 - 286) .
— عن طرق القوافل الرئيسية والفرعية التي كانت تربط شمال غرب افريقيا بالعالم الخارجي - انظر الخريطة الملحقة بهذا المقال .
ملاحظة : قدم الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني - بصفته ممثلا لجامعة محمد الخامس المغربية - بحثا بمؤتمر الدراسات الشرقية الدولي السابع والعشرين الذي انعقد بجامعة آن ابر بميشيغان بالولايات المتحدة فى اغسطس 1967 عن مؤلفات علماء غرب افريقيا فى المكتبات المغربية - اشار فيه على وجه الخصوص الى مؤلفات (الشيخ المختار الكنتي التنبكتي) واولاده واحفاده - مثل كتاب (جذوة الانوار) للمختار الكنتي وفتح القدوس فى الرد على ابى عبد الله محمد اكنسوس) لاحمد البكاى بن محمد بن المختار الكنتي بالاضافة الى عدد آخر من علماء غرب افريقيا .
ولا شك فى ان الدراسات الواعية لمؤلفات علماء غرب افريقيا - سواء التي تحتضنها المكتبات المغربية او التي توجد فى المكتبات العالمية الاخرى - ستسهم فى وضع الحضارة التي ازدهرت فى هذه البلاد فى وضعها الصحيح .
انظر نص المحاضرة المشار اليها فى : - دعوة الحق - العدد الاول : السنة الحادية عشرة - شعبان 1387 (نوفمبر 1967) ص 84 وما بعدها .

جهود الرحالة العرب الذين تعددت رحلاتهم اليها منذ القرن العاشر الميلادي فحتى القرن التاسع عشر كانت معلومات الاوربيين عن غـــرب افريقيا لا تكاد تتعدى السواحل ، اما المناطق الداخلية من شمال غرب القارة فكانت معلوماتهم عنها مشوشة وغير دقيقة ـ وقد اشار الى هذه الحقيقة الكاتب الانجليزي بوفل (BOVILL) الذي يعتبر فى مقدمة الكتاب الاجانب الذين كتبوا عن الممالك الاسلامية فى غرب افريقيا فقد قال : « اننا ندين بمعلوماتنا كلها عن التاريخ المبكر للمناطق الافريقية الواقعة جنوب بلاد المغـــرب الى فئة قليلة من المؤلفين والرحالة العرب من أهمهم المسعودي ، وابن حوقل ، والبكري، والادريسي، وياقوت، والعمري، وابن بطوطة، وابن خلدون » (18)

ولعله مما يتصل بهذه الحقيقة المتعلقة بالجهل بما وراء السواحـــل الغربية للقارة أن مشكلة النيجر ـ ثالث أنهار افريقيا بعد النيل والكنغو ـ والذي يمتد فى غرب القارة على شكل قوس ، ومنابعه واتجاهه هل هـــو للشرق أم للغرب ، وعلاقته بالنيل ، والسنغال وغيرهما من المجاري المائية فى القارة ـ ظلت قائمة حتى القرن التاسع عشر الميلادي (19) .

فلا شك أن الدراسة العميقة ، والتحليل الدقيق لما كتبه احمد بابا يمدنا بمعلومات قيمة وفريدة عن الاوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية فى هذه الممالك الاسلامية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وهي

---

(18) Bovill, E.W. : the golden trade of the Moors (London 1958) P. 60
ترجم هذا الكتاب د. زاهر رياض باسم (الممالك الاسلامية فى غرب افريقيا وأثرها فى تجـارة الذهـب عبر الصحراء الكبـرى (القاهـرة 1968) .
ـــ ولنفس المؤلف كتاب آخر متعلق بنفس الموضوع سنشير اليه فى مواضع اخرى مـــن هـــذا البحـــث هـــو :
Bovill, E.W : Caravans of the old sahara (London 1933)

(19) نلاحظ ان ـ ابا فارس عبد العزيز الفشتالي صاحب كتاب (مناهل الصفا فى مآثـــر موالينا الشرفا) ـ والذي كان وزير القلم فى دولة المنصور ، ومن خاصة المقربين اليه ـ يخلط بين النيل والنيجر ـ فيتحدث عن ممالك السودان الغربي الي يخترقها بحر النيل نهر « الجنة » وعن « انشاء جؤدر باشا الاساطيل والسفن لاقتحام النيل والعبور لعدوته القصوى » ، لكنه يعود فيتحدث عن (نيل مصر الذي يجري من الجنوب الى الشمال) و (نيل السودان الذي يجري من الشرق الى الغرب) ـ انظر طبعـة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ بالرباط ص. ص 145 ، 147 ، 166 .

كما قلنا دراسات لا زالت مراجعنا عنها غير كافية ـ هذا بالاضافـــة الى القيمة العلمية لكتابات احمد بابا وأمثاله من المعاصرين والذين عاشوا هذه الاحداث واسهموا فيها خاصة اذا تميزوا بما اشتهر به من دقة الملاحظـــة والصدق والصراحة والامانة فيما يورده من اخبار وسنشير لهذا بشيء من الايضاح عند استعراضنا لمؤلفاتـــه .

الظروف التي جاء فيها احمد بابا الى المغرب

علاقة هذه الاسرة الكبيرة بالمغرب علاقة قديمة ، فهو يذكر لنـــا أن بعض أفراد أسرته جاءوا الى المغرب وكان لهم نشاطهـــم فيه ـ فمثـــلا (عبد الله بن عمر بن محمد أقيت) شقيق جده جاء الى المغـــرب ودرس بمراكش فترة ثم عاد لبلده تمبكتو أو (تنبكت) كما يذكرها حيث توفـــى فى عـــام 940 هـ .

لكن الظروف التي جاء فيها أحمد بابا نفسه الى المغـــرب ـ كمـــا سنوضح ـ كانت ظروفا قاسية بالنسبة له ، وتركت فى نفسه أثرا أليما .

كان ذلك فى عهد المنصور السعدي حين نشب الخلاف بين المغرب ودولة صنغاي أو مملكة (كاغر) كما يسميها الفشتالي ، والسعدي ـ وترتب على ذلك دخول القائد المغربي (محمود زرقون) مدينة تمبكتو حيث قبض على أحمد بابا وأفراد أسرته واقتيدوا الى (مراكش) فدخلوهـــا فى اول رمضان عام 1002 (21 مايو 1594) ـ وقيل ان السبب فى القبض عليهم وترحيلهم الى المغرب انهم رفضوا الاعتراف بسلطان المنصور على بلادهم ودعوة الناس الى ذلك . ولقد فقد احمد بابا فى هذه الرحلة ـ كما يقول هو ـ ستمائة وألف مجلد من الكتب والمؤلفات التي كانت تحتويها خزانته ومما ورثه من أسرته ـ فقد كان الامر ان يقتادوا ومعهم كتبهم ، كما سقط أثناء الطريق عن ظهر جمل فكسرت ساقه (20) .

---

(20) دائرة المعارف الاسلامية ـ العدد الاول ص (458)
ـــ وانظر اليفراني : الصفوة ـ النسخة الخطية السابق الاشارة اليها ص 66 .

وهو لا يذكر لنا كيف فقد كتبه هذه ولا الظروف التي أحاطت بسقوطه من على ظهر الجمل ، لكن لا شك فى ان هذه الظروف التي ألمـت به فى رحلته هي التي جعلته يشعر فى نفسه بالمرارة طوال مدة اقامته بالمغرب حتى غادر مراكش الى بلاده كما سنوضح .

وبالطبع ليس هذا مجال الحديث بالتفصيل عن دوافع تفكير المنصور فى غزو السودان وعن المراحل التي مرت بها الحملات التي أرسلت لهـذا الغرض ـ لكننا نشير فقط لبعض الاحداث المتصلة بهذه الحملات لارتباطها بموضوع حديثنا (21) .

ويشير صاحب تاريخ السودان الى ان السلطـان احمد المنصـور الذهبي كتب الى اسكيا اسحاق بن داوود بمدينة (كاغ) ليسلم له فى خراج معدن الملح فى تغاز ، وذلك لانه أولى به لانه الحاجز والمانع لهم من الكفرة ـ ويذكر انه وقف على هذا الخطاب بعينيه ـ لكن اسكيا اسحق لم يسعفه بما طلب من التسليم فى ذلك المعدن بل قبح له الكلام وبعث له صحبة رده حرشانا ونعلين من حديد ـ فلما وصل ذلك المنصور عـزم على صـرف المحلة اليه بالغزو . وفى شهر المحرم الحرام فاتح التاسع والتسعين بعد

(21) من يريد التوسع فى تفاصيل حملات السودان ـ فليرجع الى :

ـ السعدي ، مرجع سابق (تكلم عن ملوك السودان وعلمائه حتى سنة 1654 م)

ـ الفشتالـي ـ مرجـع سابـق .

— Bovill E,W. : The Moorish Invasion of the Soudan (The Journ. of the African Soc. 1927 XXVI P.P. 245-292 and 380-387 XXVII P.P. 47-56)

— Delafosse ; M. : Les relations du Maroc avec le Soudan (Hesp. 1924, P.P. 153-174)

— DeCastries : La conquête de Soudan (Hesp. 1923 P.P. 488)

— DeCastries : Kabara et Karabara (Hesp. 1925 - P.P. 125-128)

التسعمائة بعث المحلة الكبيرة لقتالهم وعليها الباشا جودار ومعه نحـــو عشرة من القواد (22) .

ويحدثنا صاحب مناهل الصفا عن مجلس الشـــورى الذي عقـــده المنصور لأخذ رأيه ـ قبل انفاذه لجيشه ، ويذكر ان الحاضرين احتجـوا بوعورة الطريق ، اذ أنها مجاهل لا تشقها القوافل الا بعد عصب الريق ... فكيف العساكر الجرارة . . . وان الدول السابقة كدولة الملثمين والموحدين، ودولة بني عبد الحق ، وبني مرين . . لم يخطر ذلك لهم على بال ، ولا طاف بهم الامل حوله شوطا ، ولا حاك لاحد فى هاجس . لكن المنصور افحم بالقول ان التجار يعبرون هذه الطرق ببضائعهم الثقيلة ، لكنه هو أقـــر استعدادا من استعدادهم وأقدر على الاهبة التامة منهم . . . أما عن هـــذه الدول التي ذكروها فقد شغلت بملوك الافرنج والاندلس ، وبالثورات والفتن الداخلية بما استنفد قوتهم واستغرق أيامهم . . . كما انه لم تكن لهم عساكر مسلحة بالاسلحة النارية المرهوبة والصواعق القاصفة الرعود ، بل كانت عساكرهم الخيل والفرسان المسلحة بالرماح . . . وان ممالك الســـودان

---

(22) السعـــــدي ، مرجـــع سابـــق ص 138 .
ملاحظـــات : 1 ـ أشار الحسن بن الوزان (ليون الافريقي) الى الملح فى تغازى، وقد مر بها فى طريقه الى السودان وذكر « انه فى هذه المنطقة مخزن كبير للملح ، وهو هناك أثمن من المرمر ، وهذا الملح يؤخذ من كهف او حفر تقع عند مدخلها أكواخ العمال الذين يعملون فى مناجم الملح ، ويباع الى تجار يحملونه على الجمال الى مملكة تمبكتو حيث الملح نادر ندرة شديدة » .
The History and Description of Africa (1896) P. 823
2 ـ أشار الرحالة بارث (Barth) الذي زار مناطق شمال وغرب افريقيا فى وقت متاخر فى القرن التاسع عشر عند حديثه عن مدينة (جنى) أن ثروتها تتركز على الملح الذي يرد من (تغازى) بالاضافة الى الذهب
— Barth, H. : Travels and discoveries in North and central Africa (1849-1855) (London 1857/58) vol. IV P. 582
3 ـ يذكر بوفل (Bovill) « ان اسكيا لم يكتف بالرد العنيف على خطاب المنصور بل ارسل الفين من الطوارق ليغيروا على (درعة) ، ولينهبوا ما يمكن نهبه ، بل وان يصعدوا فى اعمالهم التخريبية هذه حتى أبواب مدينة مراكش ان امكنهم ذلك »
Bovill, E.W. : The golden trade of The Moors (London 1958) P. 142

احق واولى بالتفات العزائم فهي وان كانت صعبة المرام ـ فانها غزيـــرة النفـــع واقـــوى بمعادنها (23) .

ويذكر (بوفل) ان المنصور أوضح لحاشيته ان فتـــح الســـودان سيعطي القوة لجيوش الاسلام ، كما سيرفع روح المسلمين الحقيقيـــة ، وذكر ان اسكيا تنقصه مزايا الملك الضرورية ، كما انه ليس قرشيا ، فليس له الحق فى ان يحكم هذا البلد الاسلامى ــ ويقول انه ازاء هذه الآراء التى أبداها الملك انفض أعضاء المجلس الاستشارى وهم يرددون المثـــل الذى عبـــر عنـــه هوداس بالفرنسية .

« Les esprits des princes sont les princes des esprits ».

اي « عقل الامير (رايه) هو أمير (سيد) العقـــول » .

ويشير الى اسباب اخرى لحملة المنصور على صنغاي فيذكر الآثار المترتبة على موقعة وادي المخازن ، التي ملأت السلطان المغربي بالثقـــة فى نفسه وفى جيشه ، ويرجع تعاليه ـ كما يقول ـ والجفاء الذي قابل به مندوب السلطان العمثاني الى هذه العوامل النفسية ـ ويذكر ان المنصور وجد بعد ذلك ان من الاصوب ان يصفي مشاكله مع الاتراك العمثانييـــن ـ لكن كان عليه ان يفكر فى مجال آخر يشغل قواته الظافرة والتي كان يحرص على ان تكون دائما على أهبة الحرب والقتال (24) .

واذا كان السعدي المؤرخ السوداني ـ لا يعطينا تفصيلات عن خط سير الحملة المغربية فان (بوفل) يشير الى الطريـــق الـــذي سلكتـــه (مراكش ـ لاكتـــوا Lektawa فى أعالـــي وادي درعة ـ تندوف ـ تغازى ـ تاودينى Taodeni ـ كابـــارا Kabara) (25) .

(23) الفشتالـــي ـ مرجـــع سابـــق ص. ص 126 ـ 129 .

(24) Bovill, E.W. : Caravans of the old Sahara (1933) P. 155

(25) Bovill, E.W. : The golden trade of the Moors P. 151
وانظـــر خـط سيـــر الحملـــة على الخريطـــة المرفقـــة بالمقـــال .

ويذكر السعدي ان الجيشين التقيا فى السابع عشر من جمادى الاول عام 999 هـ (مارس 1591) قرب تنديبي (Tondebi) على بعد خمسة وثلاثين ميلا من (جاو) ، وقد لحقت الهزيمة بجيش اسكيا فى هذه المعركة (26) .

ودخل جودر وجيشه (جاو) وكان يعتقد انه سيجد مدينة كبيرة ذات مباني ضخمة تأخذ مفاتنها بالابصار ، لكنه صدم حين وجد بدلا من ذلك مجموعة من الاكواخ مبنية من الطين ولا اثر للثراء بها (27) .

وعرض اسكيا شروطا لعقد صلح بين الطرفين على أساس ان يدفع مائة الف مثقال من الذهب والف من الرقيق ، على ان يرجع الجيش المغربي الى مراكش ، وقبل جودر باشا العرض فى انتظار رد السلطان احمد المنصور .

ويذكر (بوفل) ان تمبكتو كانت فى ذلك الوقت الذي حاول المنصور فيه مد نفوذه للسودان ــ العاصمة الثقافية للاقليم ، بل كان يقصدها طلاب العلم من البلاد البعيدة ، ويقول ان اجمل مبانيها كان مسجد سانكور (Sankore) الذي كان لا يزال يسمو على كل مبنى آخر ــ لكن جودر ورجاله الذين عرفوا المباني الضخمة التي تتمثل فى الكتبية فى مراكش لم تكن مباني مسجد سانكور لتثير انتباههم (28) .

على أن المنصور غضب غضبا شديدا حين علم ان قائده قبل الصلح وترك لعدوه فرصة الافلات من قبضته ــ ولذا تقرر ارسال قائد آخر ليحل محله ويقوم بتنفيذ الاهداف التي رسمت للحملة ، ولذا وقع الاختيار على (محمود زرقون) ليقوم بهذه المهمة فجاء الى السودان وتسلم القيادة ، ثم خرج بجيشه متعقبا اسكيا اسحق ، وانتهى الامر بالقضاء على جيش صنغاي وهروب اسكيا وقتله بيد بعض أفراد من قبائل الطوارق ــ وعين القائد

---

(26) السعدي ، مرجع سابق ص. 140 .

(27) — Bov'll ; E.W. : The golden trade of the Moors P. 27
— The Cambridge history of Islam vol. II P. 360

(28) — Bovill, E.W. : The golden trade of Moors P. 59.

محمود (سن ولد اسكيا داوود) ليحكم تمبكتو باسم السلطـــان احمـــد المنصور ـ لكن الفوضى عمت البلاد بسبب غارات الطوارق على المناطق المزروعة والفنية ، كما ظهر بين شعب الصنغاي ثائر جديد هو (أسكيـــا نوح) ، فاضطر القائد المغربي محمود بن زرقون ان يشن على تمبكتو هجوما عنيفا ودخل المدينة وفتك بعدد كبير من الصنهاجيين . وكما يقول صاحب تاريخ السودان : « انه استباح الاموال والثروات لكنه افسد جميع الاموال التي صادرها وشتتها شذرا مذرا وتكرم بجزء منها للرماة ولم يبعث للسلطان مولاي أحمد الا مائة ألف ذهبا » (29) .

وقبض القائد محمود بن زرقون على العلماء ورجال الراي الذين بقوا احياء من أهل تمبكتو وارسلهم فى القيود الى مراكش .

ويشير احمد بابا فى ذيل الديباج الى هذه المحنة فيذكر « انـــه هو وطائفة من أهل بيته امتحنوا بثقافهم فى بلدهم فى محرم عام اثنين والف على يد محمود بن زرقون لما استولى على بلادهم وجاء بهم أسارى فى القيود فوصلوا مراكش أول يوم من رمضان من العام المذكور (موافق 21 مايـــو 1594) واستقروا مع عيالهم فى حكم الثقاف ـ الى أن انصرم امر المحنة فسرحوا يوم الاحد الحادي والعشرين لرمضان عام اربعة والف (موافق 19 مايو 1996) ففرحت قلـــوب المؤمنين بذلـــك ـ جعلها الله كفـــارة ذنوبهـــم » (30) .

هذا ويذكر (بوفل) قصة متصلة باعتقال احمد بابا وأسرته ـ فيقول « ان القاضي عمر بن محمود ـ قاضي تمبكتو (31) ـ ارسل فى نهاية عـــام

---

(29) السعـــدي ، مرجـــع سابـــق ص. ص 168 ، 171 .
(30) كفاية المحتاج ـ النسخة الخطية المشار اليها سابقا ص 277 .
(31) يذكر الفشتالي نص خطاب من انشائه هو ـ أرسله المنصور لهذا القاضي ـ فى بداية الحملة ـ يقيم فيه الحجة ، ويوضح معالم الشرع والسنة والكتاب على وجوب بيعـة المنصور وطاعته والانخراط فى سلك الجماعة بالانقياد لدعوته النبوية . ويدعـــو القاضـــي لتوضيـــح ذلـــك للنـــاس .
— الفشتالـــي ، مرجـــع سابـــق ص 131 .
— واليفرانـــي : نزهة الحادي (المطبعة الحجرية بفاس) ص. 81 .

(1592) رسلا الى السلطان المنصور ليضعوا تحت أنظاره ما لاقاه الاهالي من عنت على يد القائد محمود بن زرقون ، وان الرسل أستقبلوا فى القصر السلطاني استقبالا وديا ، وأعيدوا ومعهم قاض يسمى (بوختيار) يحمل امرا مشددا بحسن المعاملة لعمر وشعبه ــ لكنهم بعد أن وصلوا (تغازى) علموا انهم خدعوا ، وان المنصور أرسل خلفهم رسولا بأوامر مغايرة تقضي بالقبض على عمر وعلى كل علماء تمبكتو وارسالهم وأسرهم وكتبهم وما يملكون الى مراكش عبر الصحراء ، ونفذ الامر . ويذكر انهم لما كانوا ينتمون الى الطبقة المثقفة الثرية ــ فانهم لم يتحملوا وعورة الطريق والرحلة التي ارغموا على القيام بها ، ولا سيما أنهم كانوا قد قبض عليهم ووضعوا لعدة اشهر فى السجن مثقلين بالسلاسل ــ ولذا فقد مات منهم كثيرون وان كنا لا نعرف عددهم بالضبط ــ لكن عمر رغم صحته المعتلة وكبر سنه فقد اكمل الرحلة هو واحمد بابا المؤرخ المشهور والذي فقد فى هذه الرحلة كل أعماله فلم يبق منها شيء » (32) .

واذا ربطنا بين الخطاب الذي أشار اليه الفشتالي والذي طلب فيه المنصور من القاضي عمر الدخول فى طاعته ودعوة الناس الى ذلك ــ وبين الاحداث المتصلة باعتقال القاضي وعلماء تمبكتو وابعادهم الى مراكش ــ يمكن ان نستنتج ان اعتقال هؤلاء العلماء وابعادهم عن بلادهم يرجع الى ما كان لهم من نفوذ وتأثير على مواطنيهم ، وانه كان يخشى من مقاومتهم للجيش المغربي ودعوتهم مواطنيهم لذلك بعد أن اتضح عدم انقيادهم لما دعاهم اليه السلطان المغربي من الطاعة ودعوة الاهالي لذلك .

ويذكر لنا المراكشي ان احمد بابا أستدعي لمقابلة احمد المنصور فى قصر البديع وانه لما دخل عليه وجده قد اتخذ حجابا بينه وبين الناس ، وهو من وراء (الستار) يتكلم ــ فقال الشيخ « الا ان الله تبارك وتعالى يقول : (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) وأنت تشبهت برب الارباب ، فان كانت لك حاجة فى الكلام معنا فانزل لنا وارفع الحجاب عنا » . فنزل السلطان فقال له احمد بابا (اى حاجة فى نهب

(32) Bovill : Caravans of the old Sahara P. 174.

امتاعي وتصفيدي من تنبكت الى هنا حتى سقطت من على ظهـــر الجمـــل واتكسرت رجلي ؟) فقال له السلطان (أردنا كي تجتمع الكلمـــة) ـ فقال الشيخ (هلا جمعت بترك تلمسان وما يليها من البلدان فانهم أقرب اليك منا) فقال له السلطان قال النبي صلى الله عليه وسلـــم (أتركوا التـــرك مـــا تركوكم ـ فامتثلث للحديث) فقال له الشيخ (ذلك زمان ـ وبعده ـ قال ابن عباس لا تتركوا الترك ولو تركوكم) فسكـــت السلطان ولـــم يجـــد جـــوابـــا (33) .

وهذا الحديث الطريف بين المنصور الذهبي وأحمد بابا يعكس بعض الآراء التي اثيرت حول حملة احمد المنصور للسودان ، وقد اشار الفشتالي اليها عند حديثه عن المناقشات التي دارت فى مجلس الشورى الذي عقده المنصور لأخذ رايهم فى أمر الحملة ، فقد أشار بعضهم الى وجود الاتراك فى تلمسان وانه من الاسلم ان توجه الجهود لطردهم من هذه الجهات بدلا من توجيـــه الحملات الى هذه البلاد النائية (34) .

وهذا يدل على ما كان يتصف به احمد بابا من جراة فى التعبير عمـــا يعتقد انه صواب دون ان يهاب أحدا .

وقد قضى احمد بابا سنتين تقريبا منذ وصوله الى مراكش حتـــى اطلق سراحه بها على أن يغادر قصبة مراكش (من اول رمضان 1002 الى الحادي والعشرين من رمضان سنة 1004) ،لكن لم يسمـــح له بمغادرة مراكش الى بلاده الا بعد وفاة المنصور ـ فأذن له ولده زيدان فى عـــام 1014 (1605 ـ 1606) بالرجوع الى وطنه هو ومن بقـــي من أسرتـــه فانفصل عن المغرب الى وطنه تمبكتو (35) .

---

(33) المـــراكشـــي ، الاعـــلام ص 103 .
ـــ واليفرانـــي : نزهـــة الحـــادي ص 88 .
(34) الفشتـــالـــي ، مرجـــع سابـــق ص 126 .
(35) المـــراكشـــي ، مرجـــع سابـــق ص 103 .
ـــ والزركلـــي ، خير الدين : الاعلام (الطبعة الثانية) ج 1 ص 98 .

وعلى ذلك فما ذكره (بوفل) من ان القاضي عمر أطلق سراحه في عام 1596 ـ لكن احمد بابا ظل سجينا حتى أطلق سراحه مولاي زيـــدان في (1607) وانه بعد مغادرته قصبة مراكش عاد مباشرة الى تمبكتو ـ غيـــر صحيـــــح (36) .

ولا شك في ان العشر سنوات التي قضاها في المغرب منذ ان أطلق المنصور سراحه في (1596) حتى مغادرته المغرب في (1605 ـ 1606) تهمنا بصفة خاصة لانها كانت سنوات مثمرة ، وقد ترك فيها في المغـــرب اثارا فكرية وعلمية لا تمحى ، فقد الف فيها وانتج واخرج اكثر من مخطوط من روائع مؤلفاته ، كما عكف طوال هذه المدة على التعليم في جامع الشرفاء بمراكش وكان يستمع لدروسه خلق كثير برز منهم عدد غير قليل نذكر منهم الرجراجي ومفتي فاس ، والقاضي ابا القاسم بن ابي نعيم الغساني ، وأبا العباس احمد بن القاضي صاحب جذوة الاقتباس ـ كما كان يعهد اليـــه بالافتاء في عدة مسائل فيجيب على مضض ـ كما يقول (37) .

وقد تحدث (ابو عبد الله محمد بن يعقوب المراكشي) في فهرسته عن هذه الفترة التي قضاها أحمد بابا في المغرب ، وعن الاثر الذي تركه ، وعمن درس على يديه ، وما حصلوه من علم في هذه الفترة فقال : « لم ألق بالمغرب اثبت منه ولا أوثق ، ولا أصدق ولا اعرف بطريق العلم » ـ وذكر على لسانه قوله : « لما خرجنا من المحنة طلبوني للاقراء فجلست بعد اباء ـ بجامع الشرفاء بمراكش اقرأ مختصر خليل قراءة بحث وتدقيـــق ونقـــل وتوجيه ، وكذا تسهيل ابن مالك ، والفية العراقي فختمت على نحو عشـــر مرات ، وتحفة الحكام لابن عاصم السبكي ، والحكم والجامع الصغير قراءة تفهم مرارا ، والصحيحين مرارا ، ومختصرها ، والشفـــاء والموطـــأ ، والمعجزات الكبرى للسيوطي ، والشمائل ، والكلاعي وغير ذلـــك ـ .. وازدحم الخلق علي وأعيان طلبتها ولازموني بالاقراء على قضاتها كقاضـــي الجماعة بفاس العلامة ابى القاسم بن ابي النعيم الغساني ، وهو كبير ينيف على ستين ، وكذ قاضي مكناس الرحالة المؤلف صاحب ابي العبـــاس بن

(36) Bovill : Caravans of the old Sahara P. 174

(37) دائرة المعارف الاسلامية ـ اكتوبر 1933 ـ العدد الاول ص 458 .

القاضي المكناسي ـ له رحلة للشرق لقي فيها الناس وهو أسن مني، ومفتي مراكش الرجراجي وغيرهم ـ وافتيت بها لفظا وكتبا بحيث لا تتوجه الفتوى فيها غالبا الا لي ، وعينت الي مرارا فابتهلت الى الله تعالى ان يصرفها عني، واشتهر اسمي فى البلاد من سوس الاقصى الى بجاية والجزائر وغيرهما ... وقد ناهزت الآن الخمسين سنة بتاريخ يوم الجمعة مستهل صفر عام اثني عشر بعد الالف (38) .

ويذكر المراكشي ان من تلاميذ احمد بابا البارزين ايضا (ابا العباس المقري) وانه نقل عنه فى « أزهار الرياض » (39) .

وكذلك من تلاميذه الفقيه العدل التهامي بن محمد بن احمد بن رحمون العلمي ـ ذكره فى كتابه « شذر الذهب فى خير نسب » (40) .

ونشير الى ان مراكش كانت تحتل فى هذه الفترة التي قضاها أحمد بابا بها مكانة علمية مرموقة ، وكان المناخ العلمي فيها فى زمن المنصور على الخصوص يتيح الفرصة للبحث والانتاج وقد اشتهر المنصور بتشجيعه للعلماء والادباء وكان هو نفسه أديبا وشاعرا ـ كما يقول وزير قلمه الفشتالي (41) .

ويذكر اليفرني بانه لما خرج احمد بابا من مراكش يقصد بلده شيعه أعيان الطلبة فأخذ بعضهم بيده عند الوداع ، وقرأ قوله تعالى (ان الذي

---

(38) المراكشي ، الاعلام ص 102 .

(39) المقري التلمساني ، ابو العباس احمد بن محمد (ت 1041 هـ ـ 1692 م) : ازهار الرياض . (عرف فيه بالشيخ الشهير الفاضل ابي الفضل عياض بن موسى الحيصبي) طبع بمطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (1939 ، 1940 ، 1942) .
ـ هذا ونشير الى ان التلمساني قام بنسخ بعض كتب احمد بابا من نسخ بخط المؤلف كما سنشير فيما بعد عند التعرض لمؤلفاته .
ـ وانظر كفاية المحتاج ـ النسخة الخطية المشار اليها سابقا ص 276 ، 277 .

(40) التهامي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن رحمون (1005 ـ 1616) : شذو الذهب (موجود بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1884) .

(41) عن الحياة الفكرية فى المغرب فى عصر المنصور الذهبي ـ انظر الفشتالي ـ مرجع سابق ص. 265 ـ 307 .

فرض عليك القرآن لرادك الى ميعاد) على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر فيرجع سالما ـ فنزع ابو العباس يده بسرعة وقال (لا ردني الله الى هذا الميعاد ولا رجعني لهذه البلاد) ـ وسلم عليهم وذهب لبلاده بسلامة وامان ـ رحمة الله عليه (42) .

ويبدو ـ كما سبق ان اشرنا ـ ان ما أصابه فى أثناء نقله من بلده الى مراكش حيث وقع من على الجمل وكسرت ساقه وفقد معظم كتبه (ست عشرة ومائة مجلد) ـ لم يفارق مخيلته ، وكان دائما يعبر عن هذا الظرف فى كلامه (بيوم الكائنة العظمى) ـ ولعل المه لفقده كتبه كان شديدا فهي ثروته الحقيقية ـ فقد كان يردد دائما « انا اقل عشيرتي كتبا ـ نهبت لي ست عشرة مائة مجلد » (43) .

وكما اختلف الكتاب فى تحديد سنة ولادته ، كذلك حدث خلاف فى سنة وفاته ـ فقد جاء فى دائرة المعارف الاسلامية ان وفاته كانت بتمبكتو فى يوم الخميس 6 شعبان عام 1036 (22 ابريل 1627) اي بعد عودته من مراكش بمايقرب من 22 عاما ، وكذلك ذكر هذا التاريخ اليفراني فى الصفوة (44) ، والقادري فى نشر المثاني (45) .

أما المحبى فقد ذكر ان وفاته كانت فى سابع شعبان سنة اثنين وثلاثين والف (موافق 6 يونيو 1623) (46) .

---

(42) اليفرني ، محمد الصغير المراكشي : صفوة من انتشر من علماء القرن الحادي عشر ـ النسخة الخطية ص 68 .
ـ ويذكر صاحب نزهة الحادي ـ « ان احمد بابا كان يتشوق للعودة لبلاده ويورد أبياتا من شعره يعبر فيها عن اشواقه هذه ـ انظر : نزهة الحادي ـ طبعة فاس ص 82 .
(43) المراكشي ، الاعلام ص 99 .
ـ اليفرني : صفوة ما انتشر من أخبار القرن الحادي عشر ـ النسخة الخطية المشار اليها سابقا ص 65 .
(44) اليفرني : المرجع السابق ص 66 .
(45) القادري ، محمد بن الطيب : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني (1310) ـ ج 1 ص. ص 151 ـ 153
(46) المحبى ، ابو عبد الله محمد : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادي عشر (مصر 1284) ج 1 ص 178 .

اما قول (بوفل) انه عاد الى تمبكتو فى عام 1607 وانه مات فى نفس العام ـ فهو يناقض ما ذهب اليه العديد من الكتاب الذين كتبوا عنه ـ وهو بعيد عن الحقيقة كما يبدو ـ وخاصة انه اشار الى انه أخذ هذه المعلومات من تاريخ السودان (السعدي) ولم نجد فى السعدي اشارة لسنة وفاته (47)

ولعل السؤال الذي يفرض نفسه علينا والذي قد يفصل فى تحديد تاريخ وفاته هو ـ ما هو نشاطه الذي قام به بعد عودته الى تمبكتو ؟

والحقيقة ان مؤلفاته التي تحت أيدينا بالاضافة الى القليل الذي كتب عنه لا يعطي اجابة شافية محددة عن هذا السؤال ، وكل ما قيل عنه انـه كرس بقية حياته بعد عودته الى تمبكتو للعلم ، وتعليم الفقـه على وجـه الخصـوص (48) .

وقد يتبادر للذهن سؤال آخر عن أسرته وأولاده ومدى مسايرتهم لابيهم وباقي أفراد هذه الاسرة التي اشترهت بالعلم ـ فى هذا الميدان.. وكل ما لدينا فى هذا المجال اشارة السعدي الى الفقيه سيدي محمد وقال انه ابن العلامة الفقيه أحمد بابا ، وذكر عنه انه كان فى بلـدة (اروان) ، وانه وصل (توات) وحج العام الحادي والاربعين بعـد الالف (الموافـق 1671) م (49) .

ولعل من المفيد أن نستعرض الآن أهم مؤلفاته المعروفة لنا .

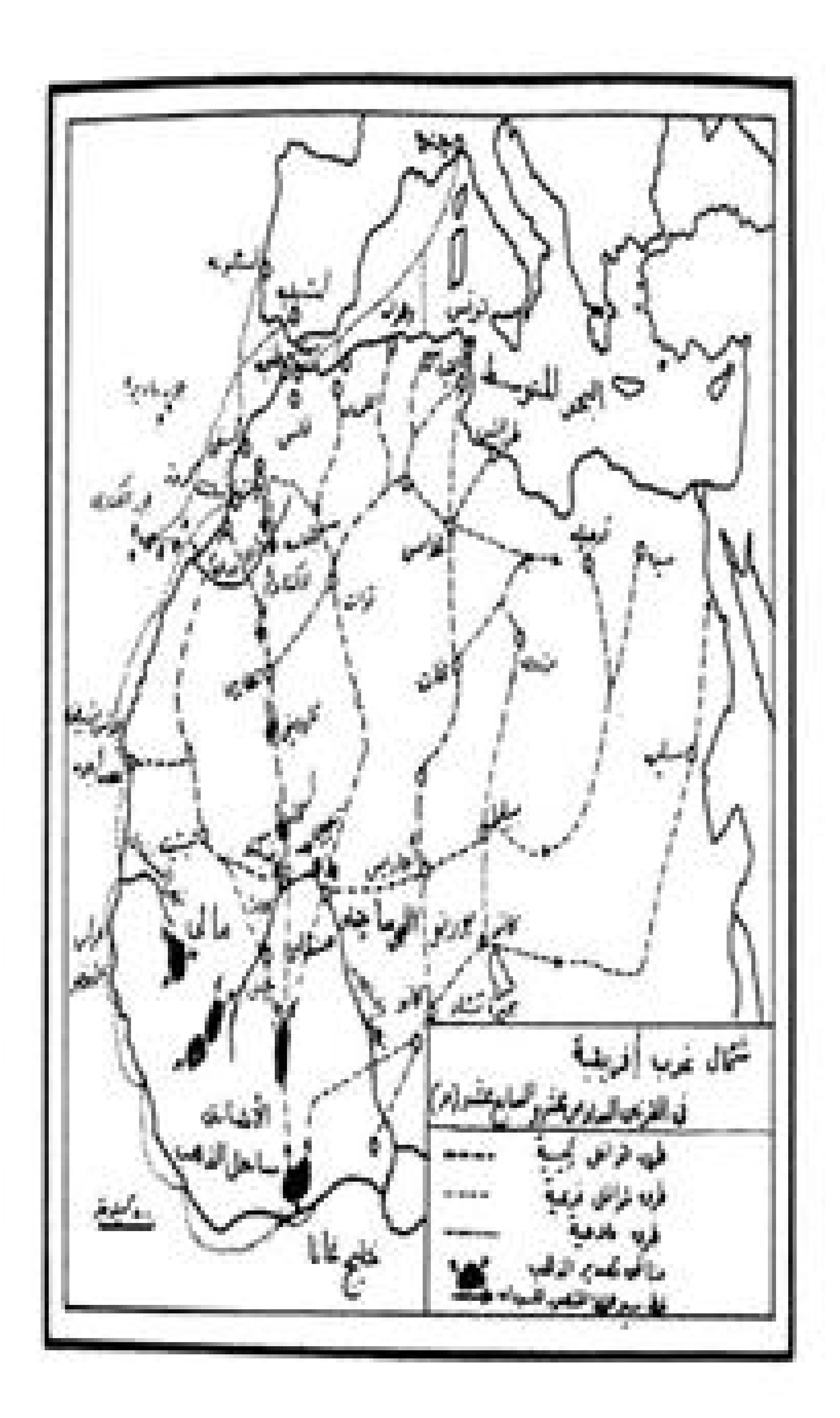
---

(47) Bovill : Caravans of the old Sahara P. 174

(48) دائـرة المعـارف الاسلاميـة ص 458 .

(49) السعـدي ، مرجـع سابـق ص 233 .

ـوانظـر هـذه المـدن على الخريطـة المرفقـة بالبحـث .


شمال غرب أفريقيا
البحر المتوسط
مالي

مؤلفاتـــــــه :

على الرغم من أن اسم احمد بابا ـ كان معروفا فى السودان الغربي وشهرته كعالم لم تخب منذ ظهر فى النصف الثاني من القـــرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ، بل ظلت تتردد فى مجالس العلم من وقت لآخر فيما كتب عن هذه البلاد ـ لكن جاء وقت ظن فيه أن مؤلفاته وآثاره قــد تكون فقدت نهائيا ، وظل هذا الوهم قائما لوقت قريب . فنجد (بوفل) مثلا يقول فى عام 1933 « انه على الرغم من انه لم يكتب البقاء لاى من مؤلفات احمد بابا ـ لكنه الى الآن يذكر اسمه فى السودان كمعلم عظيم » (50) .

بينما نجد بازل دافيد سون (Basil Davidson) الذي نشر فى عام (1959) كتابا قيما حاول فيما حاول ان يثبت ان للافارقة تاريخا وانهم أسهموا بنصيب وافر فى الحضارة الانسانية ـ وأن الادعاء الذي شاع فى فترة التكالب الاستعماري على القارة الافريقيـــة وروجــت له الــدول الاستعمارية عن الافارقة الذين لا ماض لهم ولا حضارة ادعاء باطل ـ يشير الى « ان احمد بابا الذي عرف بوفرة انتاجه والذي قد تصل مؤلفاته الى (12) كتابا وكان يعيش فى تمبكتو خلال وبعد حكم محمد أسكيا لا نعرف مصيــر مؤلفاته » . . . لكنه يستدرك فى الطبعة الثانية للكتاب فى عام 1970 فيذكر انه قد بلغه اخيرا انه عثر فى شمال نيجيريا على مخطوطين من مؤلفاته (51)

وقد أشار الى هذا الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني فى محاضرته التي اشرنا اليها سابقا والتي القيت فى اغسطس عام 1967 بجامعـــة اربــر ميشيغان بالولايات المتحدة وذكر انه يوجد بمكتبات المغرب حوالـــي 30 كتابا ورسالة لاحمد بابا (52) .

---

(50) Bovill E.W. : Caravans of the old Sahara P. 193

(51) Davidson, Basil ; Old Africa Rediscovered (1970) P. 99
نقل جمال محمد احمد هذا الكتاب الى العربية معتمدا على الطبعة الاولى منه بعنـوان افريقيـا تحــت أضــواء جديــدة ـ بيــروت 1961 .

(52) انظر نص المحاضرة ـ دعوة الحق ـ العدد الاول السنة الحادية عشرة ـ شعبان 1387 هـ (نوفمبـــر 1967 م) ص 84 .

واشير الى انه على الرغم من أن عدداً غير قليل من مؤلفات أحمد بابا قد أصبح فى متناول الايدي فى دور الوثائق ــ الا أن عدداً مما أشار اليه هو أو غيره ممن كتبوا عنه ــ من هذه المؤلفات لا زال مكانه غيــر معروف ، كما أن معظم ما بدور الوثائق من انتاجه الفكري بخطوط النساخ ويحتــاج للتحقيق والنشر لتعم فائدته ــ وقد ذكر هو ان له من المصنفات ما يربو على الاربعيـــــن (53) .

فالحقيقة الماثلة أمامنا الى الآن انه مع أننا قد نكون وضعنا أيدينا على اول الخيط فيما يتعلق بالانتاج الفكري لاحمد بابا وغيره من علماء ومؤلفى هذه المنطقة الغربية من القارة الافريقية ، لكننا نحتاج الى مضاعفة الجهود لدراسة ما تحت ايدينا من هذه الثروة العلمية دراسة علمية تحليلية واعية، بالاضافة الى السعي وراء باقي هذا الانتاج الذي يمثل بلا شك جــزء من التراث الافريقي والعربي والاسلامي ، ولعل هذه الدراسة تفتــح مجالات متعددة للبحث فى مدى ما وصل اليه الادب والثقافة العربيـــة بميادينهـــا المتعددة فى هذا الجزء من القارة الافريقية وأثر البيئة هنا وغيرها مـــن العوامل فى هذه الثقافة التي وصلت الى غرب القارة عبر قرون متعـــددة ومع موجات جاءت من الشمال (المغرب الاقصى) ، ومن الشمال الشرقي، ومن الشرق ، ولا شـــك فى ان المجـــال هنـــا مفتـــوح لدراســـات عميقة ومتعددة من شبابنا الجامعي ومن الباحثين فى مختلف جامعاتنـــا العربية وهو مجال يستحق ما يبذل فيه من جهد بدلا من الجهـــود التـــي تتركز كلها على دراسة موضوعات قد تكون قتلت بحثا (54) .

---

(53) دائــرة المعــارف الاسلاميـــة العــدد الاول (933) ص 458 .
ــ وسركيـــس فى معجمـــه ص 380

(54) لمن يريد التوسع فى دراسة الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، والطرق التـــي سلكتهـــا الى الســـودان الغربـــي انظـــر :
ــ حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا (1958).
ــ محمد سعودي ، رجاء علام ، موريس جاد ، اطلس افريقية (1967) ص 24 .
Trimingham, J.S. : Islam in the Soudan (1949)

وسأشير هنا الى اهم مؤلفات أحمد بابا :

1 ـ نيل الابتهاج بالذيل على الديبـــاج : (55)

جعله ذيلا للديباج المذهب (56) ـ مستدركا فيه تراجم الذين غفـــل عنهم ابن فرحون ، ومضيفا تراجم من اتوا بعده من الاعيان .

وقد طبع على الحجر بفـــاس سنـة 1317 هـ (1899 م) فى 396 صفحة (57) ، وطبع بمصر 1329 هـ (1911 م) على هامش (الديبـــاج المذهـــب) .

ويشير فى أوله الى الهدف من تأليفه بقولــه « الحمد لله المنفــرد بالبقاء ، الحاكم على سواه بالفناء ، المختص بالاحالة ... وبعد فيقـــول الفقير لرحمة ربه القدير احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد أقيت ـ عرف بابا التكروري ثم التنبكتي المالكـــي ، وفقـــه الله لرضـــاه ... لما كان علم التاريخ ومعرفة الائمة من علماء الملة من الامور العلية ، ويعتني به كل ذي حمية ذكية ، اذ هم نقلة الدين وحملة الشريعة المحمدية ، وبـــه يتميز الصالح من الطالح والمسخوط من المقبول ويعرف ذوو العدل منهم ومن هو مجهول ... اعتنى الائمة قديما وحديثا بالوضع فيها على انحـــاء متفاوتة ، واخرى متباينة فبعضهم عرف المحدثين والرواة ، وبعضهم عرف اهل الفقه .. وكان ممن سعى فى ذلك من أهل مذهبنا المالكية سعيا حثيثا

---

(55) نسخـــة دار الوثائـــق بالربـــاط تحـت رقـم (766 D)
بخطـ مغربـي جيـد ـ لعلــه خط المؤلـف نفســه .
ـــ وانظـــر بروكلمـــان فى ملحقـــه ج 2 ص 716 .
ـــ وسركيـــس فى معجمـــه ص 380 .

(56) الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب ـ تأليف قاضي المدينة المنورة (أبى اسحق ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المتوفي سنة 799 هـ 1397 م) .
ترجم فيه لما ينيف على الستمائة شخصية من اعيان المالكية ـ وجمع عناصـره مـن نحو عشرين مصدرا ـ وقد فرغ من تأليفه ـ كما يذكر ـ فى شهر شعبان سنة 761 هـ وطبع بفاس سنة 1316 هـ ـ 1898 م وبهامشه نيل الابتهاج بالذيل على الديبـاج ـ انظـــر : بروكلمان فى ملحقه ج 2 ص 226
ـــ وسركيـــس فى معجمـــه ص 380 .
ـــ كذلك ترجم له احمد بابا فى نيل الابتهاج ـ طبعة فاس ص 5 .

(57) النسخة المطبوعة بفاس ـ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقـم (2608 / A

رجع بين ما تفرق عند غيره قديما وحديثا الامام الكامل الجليل الفاضل ابو الفضل ، ثم تابعه جماعة اختصروا من مداركه بعض ما تيسر ، ثم جاء الامام العلامة ابو اسحق ابراهيم ابن فرحون . . . ولم أجد أحدا تعرض لجمع ذلك بعد ابن فرحون ، ولذلك قمت بجمع هذه التراجم وجمعت منه عدة كراريس ، فجاز بحمد الله تعالى فوق ما أردت وأزيد على ما نويت وقصدت ، وسميته بنيل الابتهاج بتطريز الديباج جعله الله تعالى خالصا لكريم وجهه وموجب الفوز لديه بفضله . . . »

وفى آخره قال ما نصه : « وافق الفراغ منه وقت الضحى يوم الجمعة سابع جمادي الاولى سنة خمس والف ـ اراناالله تعالى ختامه فى عافية ، بدرب عبيد الله من مدينة مراكش من المغرب المصونة . . .

كاتبة وجامعة ومؤلفه العبد الفقير الى ربه أحمد بابا بن احمد بن احمد ابن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي التنبكتي المالكي فتح الله تعالى عليه بالحسنى بجاه الاولين والآخرين وحفظه من غي الدهر وشروره وحسبي الله ونعم الوكيل ، ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

ويرتب المؤلف الشخصيات التي ترجم لها ترتيبا ابجديا فيبدأ بحرف الهمزة فيذكر (ابراهيم بن علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمري) ، ثم حرف الباء وهكذا .

وهو يتحدث عن نسب المترجم له ، ونصيبه من العلم ، وقد يعطي وصفا له فيذكر (انه جميل الهيئة ، معتدل القامة ، يلازم الطيلسان على العمامة ولا يلبس الثياب المصقولة ، يلازم بيته ـ قليل الاجتماع بالناس)، واحيانا يأتي ببعض أبيات من شعر المترجم له ويعلق عليها ـ ويذكر سنة وفاة المترجم له .

هذا ونلاحظ ان هذا الانتاج العلمي ـ وهو من اضخم ما عرف من انتاج المؤلف ـ قام به وهو فى مراكش ، وهذا يؤيد ما سبق ان اشرنا اليه من ان الفترة التي قضاها بالمغرب كانت فترة انتاج خصب له ولم تذهب هباء منثورا .

واشيرالى أن هذا المؤلفكان معروفا للسعدى، صاحب تاريخ السودان، وكان كثير الرجوع اليه لضبط اسماء الاعلام وغيرها ، فمثلا عند الحديث عن (سن علي) يقول انه بالسين المهملة وكسر النون المشددة ــ يقول : « هكذا وجدته مضبوطا فى ذيل الديباج للعلامة الفقيه احمد بابا رحمه الله تعالــى » (58) .

2 ــ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج : (59)

وهو عبارة عن تهذيب واختصار لكتاب نيل الابتهاج . وقد بداه المؤلف بقوله « الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه وتابعيهم باحسان أجمعين ــ وبعد فهذا جزء اختصرته من الذيل الذي ذيلت به كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان وعلماء المذهب للامام برهان الدين ابن فرحون . . . اشتمل على جماعة لم يذكرها من أهل عصره وغيرهم من بعدهم وزيادات فى تراجم جماعة ذكرهم، فجاء فى نحو ثمانية عشر كراسة من التأليف الكبير ، وتم فى خمسة والف، وتعدد منه نسخ ــ ثم لخصت معظمه فى هذا الجزء مقتصــرا فيــه على مشاهير الائمة وأولى التصانيف وغيرهم لتيسير تحصيله وسميته كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج ــ جعله الله خالصا لوجهه الكريم » . فهو يوضح الهدف منه وفى آخره ترجم ايضا لنفسه (60) .

وقد اختصره ايضا ابو اسحق ابراهيم بن محمد التادلي الرباطــي شيخ الجماعة بالرباط المتوفي 1311 هـ (1893 م) وقد ذكــر ذلــك (ابو جندار) فى ترجمته من كتاب الاغتباط .

هذا وهناك مختصر لكتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج : (61)

ومؤلف هذا المختصر غير مذكور ، لكن يبدو حســب ما يمكن ان نستقيه من مطلع هذا المختصر ان مؤلفه كان معاصرا لمؤلف نيل الابتهاج

---

(58) السعــدي ــ مرجــع سابــق ص 64 .
(59) نسخة خطية (كما اشرت لعلها بخط المؤلف) بوثائق الرباط تحت رقم ك / 2390 .
(60) النسخــة الخطيــة السالفــة الذكــر ص 275 ــ 278 .
(61) موجــود بــدار الوثائــق بالربــاط تحت رقــم (1641 / D)

نفسه فهو يبداه بقوله : « هذا ما قضى الله سبحانه بفضله على سبيل الاختصار من تأليف الشيخ العالم المحقق المتفنن الصالح المحدث ـ السيد احمد بابا ابن احمد أقيت التنبكتي ـ بارك الله للمسلمين فى عمره ـ الذي ذيل به ديباج ابن فرحون » .

3 ـ شرح على مختصر خليل : (62)

بداه بقوله : « بسم الله اول ما كتب القلم فى اللوح ـ بسم الله الرحمن الرحيم » .

هذا ويبدو أن (مختصر خليل) نال الكثير من عناية أحمد بابا وأن له العديد من الابحاث والمصنفات الاخرى ـ تناول فيها بالشرح والتحليل اجزاء من مختصر خليل ـ منها شرحان تناول فيهما بالتحليل ما يختص بالزكاة ، وما يختص بالزواج من المختصر المذكور ـ كذلك مصنف آخر للمختصر تميز بكثرة الحواشي والتعليقات التي اوردها لفقرات منه (63) .

---

(62) بدار الوثائق بالرباط ـ رقم (D/ 1360)
ملاحظة : صاحب المختصر هو (خليل بن اسحق بن موسى بن شعيب ـ المالكي المصري وهو امام عالم ، حمل لواء المذهب زمانه بمصر ، وقد أشار اليه ابن فرحون فقال : « انه من أحفاد الخليفة المنصور ، يلبس زيهم ، متقشفا ، جامعا بين العلم والعمل » . وقد ترجم له احمد بابا فى نيل الابتهاج فقال عنه : « انه سمع من ابن عبد الهادي وقرأ على الشيخ المنوفي فى فقه المالكية وشرع فى الاشتغال به بعد شيخه وتخرج على يده جماعة ، ودرس بالشيخوخة وافتى وافاد وكان نزيها عفيفا ـ ومن تصانيفه (شرح على ابن الحاجب فى ست مجلدات) و (مختصر فى الف نسج فيه على منوال الحادي ، وغير ذلك المختصر فى الفقه أو (مختصر خليل) على مذهب الامام مالك » ـ هذا ونشير الى ان كثيرين من العلماء اعتنوا بالمختصر فطبع عدة مرات : طبع باعتناء المسيو ريشيبه (G. RICHEBE) ، وفيه ترجمة للمؤلف نقلا عن نيل الديباج (باريس 1855) .

- طبع مع ترجمة فرنسية للمسيو بيرون (PERRON) فى باريس 1848 ، 1854
- طبع مع ترجمة فرنسية أيضا للاستاذ سينيا (N. SEIGNETTE)
- وطبع فى الجزائر 1889 ، 1908 .
- وطبع فى مصر على القاعدة المغربية (بولاق ـ 1293 هـ) وبمطبعة عثمان عبد الرازق 1304 .
- وطبع مع ترجمة ايطالية وشروح (ميلانو 1919) .

(63) دائرة المعارف الاسلامية ص 458 .

ويبدو ان دراسته للمختصر المذكور وقيامه بتدريسه وشرحه – اتاحت له الفرصة للمزيد من الدراسة والتمحيص والاضافة .

4 – اللآلي السندسية فى الفضائل السنوسية : (64)

اختصر فيه كتاب المذاهب القدسية فى المناقب السنوسية (65). وقد بداه أحمد بابا بقوله : « ربنا آتنا من لدنك رحمة – وهيىء لنا من أمرنا رشدا . . . »

وقال فى آخره : « وافق الفراغ منه وقت الضحى يوم السبت ربيع الثاني عام 1004 (موافق 10 ديسمبر 1595) . ارانا الله تعالى ختمه فى عافية – وذلك بمدينة مراكش وأنا بها مع زمرة من قومنا مثقفون بها عجل الله تعالى بالفرج . . . آمين »

ويستفاد من قوله انه وضع هذا المصنف فى مراكش قبل ان يخلي سبيله ويترك قصبة مراكش بشهور فقد أفرج عنه – كما ذكرنا سابقا – فى رمضان 1004 هـ (1596 م) .

وهذا يدل ايضا على انه حتى فى فترة اعتقاله التي استمرت عامين تقريبا كان متاحا له ان يرجع للكتب والمراجع وان يكتب ويصنف .

5 – حكم بيع العبيد المجلوبين من السودان :

(معراج الصعود الى نيل حكم مجلب السود)

---

(64) دار الوثائق بالرباط تحت رقم 984 /D، 471 /D) ، 407 (2) ، 507 (2) ، (2100) د ، (2594) د

(65) المذاهب القدسية فى المناقب السنوسية – تاليف ابي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن عمر بن علي (ت 897 هـ – 1490 م) عرف فيه بمناقب شيخه الامام محمد بن يوسف السنوسي ، وجمله فى مقدمة وعشرة ابواب – انظر :
— بروكلمان فى ملحقه جـ 2 ص 302 ، 716 .
— وتوجد منه نسخ بدار الوثائق بالرباط برقم (66 D) ، 1245 .

او ان شئت (الكشف والبيان لاصناف مجلوب السودان (66)) .

بداه بقوله : « الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيد المرسلين .... »

وتناول فيه الحديث عن رقيق غرب افريقيا واصنافهم وأثمان كل صنف ، ولعل اهتمامه بموضوع الرقيق المجلوب من غرب افريقيا بالذات يرجع الى ان عصره كان العصر الذي بدأ فيه ما عرف باسم (الاستعمار الديموغرافي) للقارة الافريقية القائم على استغلال الانسان عن طريق تجارة الرقيق خاصة بعد ان بدأ استخدام الاسلحة النارية للقنص ، والقرن السادس عشر يسميه بعض المؤرخين فى افريقيا (عصر البنادق) .

6 ـ تحفة الفضلاء ، ببعض فضائل العلماء : (67)

بداه بقوله : « الحمد لله الذي اختار من شاء من خلقه لعبادته ... » وقد جعله فى ثلاثة فصول وخاتمة .

7 ـ جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة : (68)
فى كراسين .

---

(66) دار الوثائق بالرباط رقم 1079 /D ، (508 B) ، (534) ، (1724 د)
ملاحظة : منذ اوائل القرن السادس عشر كان الرقيق قد اخذ يشحن من هذا الساحل الغربي لافريقيا الى امريكا (اول شحنة من عند ساحل غانا وصلت الى هايتي فى عام 1510 والى كوبا فى 1521 ـ وقدر عدد العبيد الذين وصلوا الى سوق لشبونة من هذا الساحل فى عام 1539 بـ 10,000 عبد ، فقد كانت البرتغال تحتكر هذه التجارة ، وظل الامر كذلك حتى بدات جمعيات مكافحة الرق ـ منذ منتصف القرن الثامن عشر تطالب بالغاء هذه التجارة البشعة وتحريمها وتوجت جهودها بالقوانين التي بدات البرلمانات الاوربية منذ اوائل القرن التاسع عشر تصدرها لتحريم الرق .
ـ لمن يريد التوسع فى ذلك ـ انظر :
تشرس ، د . ج . هاريسون : الاستعمار الحديث (الاصل 1951) .
ترجمته للعربية د. دولت أحمد صادق ـ وراجعه د. محمد السيد غلاب .

(67) دار الوثائق بالرباط (1641 /D)

(68) دار الوثائق بالرباط (543) ، (2743) / د .

8 ـ الدار النضير فى كيفية الصلاة على النبي البشير (69)

9 ـ حمائل الزهر

10 ـ نشر العبير (70)

وهذان الكتابان الاخيران مثل كتابه السابق الاشارة اليه (الدر النضير فى كيفية الصلاة على النبي البشير) فى موضوعهما .

11 ـ النكت الوفية بشرح الألفية لابن مالك

12 ـ النكت الزكية بشرح الألفية (71)

وهذان المصنفان عن الفية ابن مالك ـ لم يتمهما

13 ـ تنبيه الواقف على تحرير نية الخالق (72)

14 ـ نيل الامل فى تفصيل النية على العمل (73)

15 ـ غاية الاجادة فى مساواة الفاعل للمبتدأ فى شروط الافادة (74)

16 ـ النكت المستجادة فى مساواتهما فى شرط الافادة (75)

وهي نسخه جديدة للمؤلف السابق .

---

(69) دار الوثائق بالرباط 1724 / د
(70) دائرة المعارف الاسلامية ص 458
(71) نفس المرجع ونفس الصفحة
ـــ وكذلك الاعلام للمراكشي ص 101
(72) يشير المراكشي فى الاعلام الى انها فى كراسة ص 101 .
(73) اليفرني : الصفوة 67
(74) اليفرني : الصفوة 68
(75) نفس المرجع ص 68

17 ـ التحديث والتانيس فى الاحتجاج بابن ادريس

بشير المراكشي الى انها فى ورقات (76)

18 ـ شرح الصغرى للسنوسي

فى اربعة كراريس (77)

19 ـ مختصر ترجمة السنوسي (78)

فى ثلاثة كراريس

وهو مبني على كتاب اللآلىء السندسية فى الفضائل السنوسية الذي اختصر فيه كتاب المذاهب القدسية فى المناقب السنوسية ـ والذي أشرنا اليه سابقا .

20 ـ ترتيب جامع المعيار ـ للونشيريسي (79)

21 ـ المطلب والمارب فى أعظم اسماء الرب تعالى (80)

فى كراسة

22 ـ انفس الاعلاق فى فتح الاستغلاق من فهم كلام خليل فى درك الصداق (81)

---

(76) اليفرني : الصفوة ص 86
ـــ المراكشي ص 101 ـ وكذلك دائرة المعارف
(77) ذكره المراكشي ودائرة المعارف الاسلامية
(78) ذكره المراكشي ص 101
(79) ذكره المراكشي ، ودائرة المعارف الاسلامية
ـــ والونشيرسي ـ هو ابو العباس احمد بن يحيى المتوفي سنة 914 هـ (1508 م)ـ مؤلف كتاب (المعيار) ، عرف فيه بالشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد بن احمد المقري الكبير .
(80) اليفرني : الصفوة ص 68 .

23 ـ فتح الرزاق في مسالة الشك في الطلاق (82)

24 ـ عدد كبير من الرسائل في موضوعات مختلفة (83)

ومن استعراض المواضيع المختلفة التي شغلت احمد بابا ، والتي اهتم بمناقشتها والكتابة فيها ـ نجد القضايا المذهبية والشرعية بالذات كانت في مقدمة ما تناوله بالبحث والدراسة ، فقد كان مالكيا متحمسا لمذهبه كما يبدو من كتاباته كما انه تعرض لقضايا هامة كالزواج والطلاق والزكاة وغير ذلك مما يهم المجتمع الاسلامي ، فحلل ما يتعلق بها وشرح رأي الدين في كل منها ـ على انه تعرض ايضا لمسائل عامة كالرق وما كان يتبع عند بيع الرقيق .

واهتم احمد بابا بالمصادر الاصلية التي كانت معروفة ولها اهميتها في المدارس الاسلامية ومجالس العلم ، فأكمل واضاف لما رأى انه محتاج لاضافة ، اما لأن المؤلف أغفل أشياء هامة أو لانه وقف عند حد واصبح من الواجب ان يكمل هذا العمل وهذا ما حدث مع كتاب الديباج المذهب لابن فرحون .

وقد تكون معالجته للكتاب عن طريق الاختصار ليسهل تداوله واستيعابه كما فعل عندما اختصر المذاهب القدسية في المناقب السنوسية لابي عبد الله بن عمر .

وقد يجد أن الامر يتطلب اختصار مؤلفه هو ليكون في متناول الجميع وهذا ما قام به عند ما اختصر ترجمة السنوسي .

ويلاحظ انه كان يلتزم الصنعة في اختيار اسماء الكتب التي ألفها والرسائل والبحوث التي قام بها .

---

(82) ذكرهما سركيس ج 1 ص 379 ، وقال انهما طبعا في مجموع بفاس في عام 1307 هـ
(83) حسب ما جاء بدائرة المعارف الاسلامية ـ انه يوجد ثلاث منها في المكتبة الاهلية بالجزائر تحت رقم 532 (9 ، 10 ، 11) .

ويلاحظ ايضا انه كان يبدأ كتابه بأية قرآنية وبحمد الله وشكـــره ، ويذكر فى آخره تاريخ انتهائه من هذا العمل ـ ولذلك يسهل تمييز كتاباته التي بدأهـــا ولـــم يتمهـــا .

هذه جولة فى بعض ما كتب أحمد بابا وبعض ما كتب عنه ، وما أقل ما كتب عنه ـ اذ انه لم يتعد محاولة التعريـــف به او الاشارة السريعـــة لأسماء مؤلفاته ـ ولا ندعي أننا بهذا قد أعطيناه حقه من الدراسة لكننا نرجو أن تكون قد فتحنا الباب لمزيد من الدراسات والبحوث عن هذه الشخصية التي لعبت دورا هاما فى التاريخ الحضاري والسياسي للسودان الغربي .

والله ولـــي التوفيـــق .

الربـــاط **د. شوقي عطا الله الجمل**